

يوم الهجرة

الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت »
ويحول الله قبلته إلى بيت المقدس لحكمة يعلمها ، فيظل
الرسول متذكرا مكة والكعبة ، مقلبا وجهه في السماء راجيا
أن يوليه الله قبلة رضاها ، وما إن ينزل قرآن بتحويل القبلة
إلى الكعبة حتى يسارع الرسول بالتحول إليها قبل أن يتم
صلاته في المسجد في القبليتين ، وما إن تلوح أول فرصة لفتح
مكة حتى يعود إليها عودة المصلح الصافع ، لعودة الحقود
النائر وكذلك شأن النبوة في جمالها وكمالها : « لقد جاءكم
رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ،
بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

وعلمتنا الهجرة أن الصديق المساعد إذا أخلص في صداقته
وتطهر من الأغراض والأمراض في مؤازرته ، كان على
الأحداث خير معاون ، وكان في الشدائد أكرم إنسان ،
فهذا أبو بكر وزير سيد الأنبياء ، يضرب المثل العليا في الوفاء
لرسوله وقائده ، فيشتري الدابتين لرحلة الهجرة سرا ، ويهد
ابن أريقط ليكون لهما دليلا ، ثم يبكي من الفرح حين ينييه
الرسول بأنه سيكون رفيقه في هجرته ، ثم يأخذ ماله كله معه
ويترك بيته وفيه بنات صغيرات كهائشة وأسماء ، وله والد
شيخ ضعيف هو أبو قحافة ، ثم يترك وطنه الغالي ليخرج
إلى رحلة لا يدرى مداها ولا منتهائها ، ثم يخذ ابنه عبد الله
ليحمل الأنباء إليهما وهما في الغار . وبنته أسماء لتحمل
الطعام ، ومولاه عامر بن فهيرة ليسقيهما لبن قطيعة من الغنم ،
ثم يحمل الرسول على كتفيه حين أحس بالألم في قدميه ،
ثم يتقدمه أثناء السير تارة خوف الرصد ، ويتأخر عنه تارة
خوف الطلب ، يريد ليفديه بنفسه ، ويستبرئ الغار له قبل
دخوله ، فإن كان فيه أذى أصابه بدل الرسول ، ثم يبلغ به
الخوف على الرسول مبلغه وقد وقف المشركون بباب الغار ،
فيثبت الرسول فؤاده قائلا . لا تحزن إن الله معنا .

ثم يسأله الناس في الطريق . من هذا يا أبا بكر ؟ .
فيجتاح في الإجابة قائلا . هذا هادي يهديني الطريق . فيحسب
الحاسب أنه يعني الطريق في الأرض ، بينما هو يعني سبيل
الخير وطريق الهدى . وكذلك يكون صدق الوفاء
في الإخاء ! .

وعلمتنا الهجرة أن المرأة المؤمنة تستطيع أن تسهم بنصيبها

إن يوم الهجرة في سيرة الإسلام خاصة ، وفي تاريخ
البشرية عامة يبدو كالعنوان للكتاب ، بل كالفتاح للباب ،
فقد كان إيذاننا بفتح جديد ونصر مجيد ، ونقطة تحول في
اتجاه الإنسانية نحو الحق والنور ، وجاءت نتائج القرية
والبعيدة مؤكدة أن الله قد جعل هذا اليوم الجليل الخالد
منفذاً إلى بركاته التي جلاها على الإسلام والمسلمين فيما بعد ،
حين صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم
الأحزاب وحده ، وحين حقق لرسوله الكريم عليه الصلاة
والتسليم أمره : « وقل رب أدخلي مدخل صدق ، وأخرجني
مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل
جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

وإن الأحداث العالمية الجلى لتمر متتابعة ، لها وميضها
وزلزالها ، ما بين حديث وقديم ، ومسعد وأليم ، وجائر
وقويم ، ثم تخبو أو تنطفئ ، ويظل حادث الهجرة على الدهر
خالدا ، وبين الأحداث علما ماجدا ، وكلما لاح الهلال الوليد
في فاتحة العام الجديد انبعث ذكرى الهجرة قوية عاطرة ،
كأنها وقعت بالأمس القريب ، وكأنها لم تقطع في أعماق التاريخ
مئات السنين ، ولعل سرا خفيا من أسرار العلى القدير
يعمر أرجاء هذه الذكرى على الدوام ، ليجعلها باعثا يحفز
المسلمين إلى مواصلة المجهود ، والإيفاء بالعهود والاستقامة
على صراط العزيز الحميد .

ولقد انطوت الهجرة بمقدماتها وخطواتها على دروس
تعلم وتقوم ، وترشد وتسدد ، وفيها عظة وبلاغ لقوم يعقلون
وفيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ،
فقد علمتنا الهجرة أن صاحب البدأ إذا ضاق بالبيئة ، ولم يجد
فيها عوامل الحصب والإنبات ، ولم يلح منها نور الأمل
والرجاء تحول عنها مؤقتا إلى سواها ، حيث يجد المنتفس
لدعوته ، والاستجابة لشرعته ، والنجاة بعقيدته ، وهو في
الوقت نفسه لا ينسى الموطن الأصلي ، ولا البيئة الأولى ، بل
يلتمس الأسباب ويرقب يوم الإياب ، حتى إذا ما ضلحت
الظروف للعودة عاد هاديا راشدا ، لا غاضبا منتقما ، ومن
هنا رأينا محمدا صلوات الله عليه ينظر إلى مكة حين خروجه
منها مهاجرا ، ويقول متأثرا : « والله أنك لأحب أرض
الله إلي ، وإنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على

فى المريح

كاننات حية

من الأمور المحتملة جداً ذلك الرأى القائل إن أحوال المريح كانت منذ عصور طوال ملائمة لوجود نوع من النبات والحشرات الشبيهة بعض الشيء بنباتات الأرض وحشراتنا . وربما كان ما حدث هو أنه حين اختفى « الأكسجين » وبخار الماء من جو المريح لم تستطع هذه الكائنات الحية أن تتطور إلى الرقى فتكون لها « أنفخ » مثلاً كما حدث للكائنات الحية على الأرض بل ظلت غاية فى البساطة فرادى ومعقدة جداً كمجموعة .

وقد صور « أولاف ستابلدون » المريح على هذه الصورة تصويراً بديعاً فقال : إن هذه الأحياء تكون سحبا صغيرة كل قطرة منها تتلقى أو تصدر الإشارات التوجيهية للجهاز العصبي فى الحيوانات التى تعيش على الأرض .

ووصف أول غارة من المريح على الأرض بوصول سحابة خضراء ، وهى نوع من الدخان أو البخار الذى يمكن أن يتكاثف بفعل الضغط فيصير مادة هلامية .

كأنه وهو فرد من جلالته

فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

حما ما أكثر الآيات التى تعلمها من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن خير العلم ما واقفه العمل ، وإن أخسر الناس صفقة من ساق إليه ربه فى دينه أو دنياه علما فازداد به تاهية أو ضلالا ، وفى الهجرة ما فيها من حوافز المجد والثوب ، والثبات للزلازل والخطوب ، فهل آن الأوان لأمة محمد كى تنفض عن أجفانها آثار الوسن ، وترهق بإقدامها روح الوهن ، وتحقق عدها وعزها فى هذا الزمن ؟

يأتباع محمد ، إنها لعنة القدر وسبة الأبد ، إن ضاع على أيديكم تراث محمد . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

فى نصره دينها ونبيها ، ويمكنها أن تشارك عند الضرورة بمجهودها للصالح العام ، دون أن تشط أو تسرف ، فهذه عائشة تشهد نجويات الرسول مع أبى بكر فى بيته وتحفظ سرها ، وهذه أسماء تحمل الزاد إلى زبلى الغار ، وهذه كوكبة من بنات الأنصار يستقبلن الرسول بالأغاريذ والأناشيد ، وفى سبيل الله هانت على المرأة المؤمنة أزمات ، حدثت أسماء بنت أبى بكر فقالت : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتنانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ . فقلت : لأدرى والله أين أبى . فرفع أبو جهل لعنه الله يده — وكان فاحشا خبيثا — فطمخنى لطمه ، فطرح منها قرطى » .

وعلمتنا الهجرة أن القائد إذا كان عبقرىاموهوبا استطاع أن يؤثر فى اتباعه ، وأن يهر جموع أنصاره ، فيخضعهم بسلطانهم الروحي ، ويجمع أعتهم فى زمائه العاطفى ، فكانهم مسخرون فى يديه بقوة عجيبة رهيبة ، يأمرهم فيأتمرون ، ويشير لهم فيستجيبون ، فى صمت وخضوع ، وإنكار للذات مع خشوع ، ولما لا وقد قامت لديهم الدلائل والبراهين على صدق هاديتهم ، وعبقورية قائدهم ، وإخلاص زائدهم ؟ .

ومن هنا ترى حادث الهجرة وهو امتحان رهيب عصيب لفريق المؤمنين والمشرىكين على السواء ، يشير به الرسول ويدعو إليه فيلبيه السكبار والصغار ، ويعمل له الجميع بالليل والنهار ، حتى يتم على أكمل وجه مطلوب . وإنه لمن صميم العجب أن يضع الرسول خطة هجرته وراء ستار ، ويعلم بهذه الخطة بعض السكبار كأبى بكر ، وبعض الشباب كعلى وعبد الله ابن أبى بكر ، وبعض الفتيات كهائشة وأسماء وبعض الموالى كما امر بن فهيرة ، بل وبعض المشرىكين كعبد الله ابن أريقط اللبى ، ثم تظل الخطة مكتومة غير معلومة ، لا ينشئ لها سر ، ولا يظهر لها أمر ، ولا يدرى أحد من الأعداء أين توجه الرسول وصاحبه ، مع أن العرب اجتمعت على البحث عنه ، ورصدت الجائرة السكبرى لمن يأتى به حيا أو ميتا وهى مائة ناقة من خيرة النياق ، وهناك الفضول وحب الاستطلاع وكشف المجهول مما يغرى الفتيان والفرسان والشبان بتتبع آثار الرسول .

نعم إنها يد الله القوية القاهرة التى تغنى عن الحصون والجيش الجرارة ؛ وإنها شخصية الرسول الأمين ، سميت وعلت حتى ألفت ظلالها على من حولها فهدت المؤمنين ، وبهرت المشرىكين .